

**المبحث الثاني**  
**أمور شرعت من أجل**  
**تدبير القرآن والتأثير به**

## أمور شرعت من أجل تدبر القرآن والتأثر به

### ١- إنزال القرآن والتعبد بقراءته :

فقد قال الله - تعالى -: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩] ، ولذلك يقول ابن القيم - رحمه الله - : «ولهذا أنزل الله القرآن ليتدبر ويتفكر فيه ، ويعمل به ؛ لا لمجرد التلاوة مع الإعراض عنه»<sup>(١)</sup> . وقال - رحمه الله - : «تحديق ناظر القلب إلى معانيه ، وجمع الفكر على تدبره وتعقله ، هو المقصود من إنزاله ، لا مجرد التلاوة بلا فهم ولا تدبر»<sup>(٢)</sup> .

ويقول الشوكاني - رحمه الله - : «وفي الآية دليل على أن الله - سبحانه - إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكير في معانيه ، لا لمجرد التلاوة بدون تفكير»<sup>(٣)</sup> .

### ٢- الترتيل والتغني بالقراءة وتحسينها :

لقوله - تعالى - : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٤] ، ولقوله ﷺ : «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»<sup>(٤)</sup> ، وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : قال ﷺ : «أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله»<sup>(٥)</sup> . قال ابن كثير - رحمه الله - : «المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه ، والخشوع والخضوع ، والانقياد والطاعة»<sup>(٦)</sup> ، ويقول القرطبي - رحمه

(١) مفتاح دار السعادة ، ص ٢١٥ .

(٢) مدارج السالكين ، ١ / ٤٥١ ، بتصرف .

(٣) فتح القدير ، ٤ / ٤٣٠ .

(٤) أحمد ، ١٤٧٦ ؛ والبخاري ، رقم ٧٥٢٧ ؛ ومسلم ، رقم ٧٩٢ ؛ وأبو داود ، رقم ١٤٧٠ ؛ وابن ماجه ، رقم ١٣٣٧ .

(٥) صححه الألباني - رحمه الله - ، انظر : السلسلة الصحيحة ، ٤ / ١١١ ، رقم ١٥٨٣ ، وصحيح الجامع ، رقم ١٩٤ ، ١ / ١٠٠ ؛ وصفة الصلاة ، ص ١٢٥ . وستأتي روايات أخرى ص ١١٥ ، هامش (٤) .

(٦) فضائل القرآن ، ص ١٢٥ .

الله -: «الترتيل أفضل من الهدّ؛ إذ لا يصح التدبر مع الهدّ»<sup>(١)</sup>، وقال السيوطي -رحمه الله -: «تُسن القراءة بالتدبر والتفهُم، فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم»<sup>(٢)</sup>، قال النووي -رحمه الله -: «قال العلماء: والترتيل مستحب للتدبر وغيره . . . لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام، وأشد تأثيراً في القلب»<sup>(٣)</sup>. وقال ابن حجر -رحمه الله -: «الخشوع هو مقصود التلاوة»<sup>(٤)</sup>، ولما ذكر النووي -رحمه الله - من كره الألحان في القراءة قال: «خروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم»<sup>(٥)</sup>.

### ٣ - صلاة الليل والقراءة فيه:

حيث قال - سبحانه -: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦]، قال ابن عباس -رضي الله عنه -: «وقوله: ﴿أَقْوَمُ قِيلاً﴾: هو أجدر أن يفقه القرآن»<sup>(٦)</sup>، ويقول ابن حجر -رحمه الله - عن مدارسة جبريل لرسول الله ﷺ في كل ليلة من رمضان -: «المقصود من التلاوة الحضور والفهم؛ لأن الليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية»<sup>(٧)</sup>.

وهناك من الشواهد ما يدل على اقتران قراءة القرآن بالليل؛ فمنها قوله - تعالى -: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقوله ﷺ: «من نام عن حزبه فقرأ فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل»<sup>(٨)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٩٢/١٥.

(٢) الإتيان في علوم القرآن، ١٤٠/١.

(٣) التبيان، ص ٦٥.

(٤) الفتح، ٩٢/٩.

(٥) شرح النووي على مسلم، ٨٠/٦.

(٦) رواه أبو داود، رقم ١٣٠٤، وحسنه الألباني.

(٧) فتح الباري، ٤٥/٩.

(٨) رواه مسلم، ٧٤٧.

وقوله ﷺ عن شفاعة القرآن يوم القيامة لصاحبه: «فيقول القرآن منعتة النوم بالليل»<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - سلامة التلاوة وإتقان التجويد:

فقد قال ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع الكرام السفارة»<sup>(٢)</sup>، وكونه ماهر به يشمل إتقانه للحفظ، وسلامة التلاوة، وإتقان التجويد. ومعلوم أن مبنى الكلام قائم على المعنى، ولا شك أن سلامة النطق تزيد الفهم، وتكمل الإدراك وتعين على التدبر. وإذا اختل النطق بالكلمة أو بإعرابها فإن المعنى يتغير أو يكون ناقصاً أو غير بيّن؛ وكل ذلك مما يبعد القلب عن التدبر وتفهم الآيات. قال السيوطي - رحمه الله -: «إن التحقيق<sup>(٣)</sup> يكون للرياضة والتعلم والتمرين، والترتيل يكون للتدبر والتفكير والاستنباط . . . وليس كل ترتيل تحقيقاً»<sup>(٤)</sup>.

#### ٥ - الاستعاذة:

حيث يقول - تعالى -: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وثبت من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة استفتح ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفحه ونفته»<sup>(٥)</sup>، ومعلوم أن الشيطان أحرص ما يكون على

(١) رواه أحمد، والبيهقي في شعب الإيمان، قال الهيثمي: إسناده حسن، فيض القدير، ٤ / ٢٥٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٧٦، وتخريج المشكاة ١٩٦٣، انظر: رهبان الليل، ١ / ١٦٩.

(٢) رواه البخاري، رقم ٤٩٣٧؛ ومسلم، رقم ٧٩٨؛ وأبو داود، رقم ١٤٥٤؛ والترمذي، رقم ٢٩٠٤؛ وابن ماجه، رقم ٣٧٧٩.

(٣) التحقيق: هو المأخوذ به في مقام التعليم ليرتاض اللسان على التلاوة السليمة. وقيل: إن مرتبة التحقيق لا تجوز إلا في مجال التعليم فقط. انظر: بغية المريد، للحرابي، ص ٧٩.

(٤) الإتقان، ١ / ١٣٢.

(٥) رواه أحمد، ٣ / ٥٠، والترمذي، ٢٤٢، وأبو داود، ٧٧٥، وابن ماجه، ٨٠٤، والنسائي، ٢ / ١٣٢، والدارمي، ١ / ٢٨٢، والدارقطني، ٢٠١، والبيهقي، ٢ / ٣٤، وقال عنه الترمذي: أشهر حديث في الباب. وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢٠١.

الإنسان إذا تلا القرآن، ولهذا أمر - سبحانه - بالاستعاذة به من الشيطان عند قراءة القرآن، وفي ذلك فوائد<sup>(١)</sup>. وهي:

أ- أن القرآن شفاء لما في الصدور، فتكون الاستعاذة تنقية لما في القلب مما ألقى الشيطان من الشرور.

ب- أن الملائكة تدنو من قارئ القرآن وتستمع له، وتثبت القلب بالسكينة؛ والاستعاذة تطرد الشياطين.

ج- أن الشيطان يشغل القارئ، ويقبل عليه في الصلاة - وفي غيرها - بخيله ورجله، فيحرص جهده على أن يحول بين القلب وبين مقصود القرآن، وهو تدبره وتفهمه والتأثر به، والاستعاذة تدفع ذلك.

د- أنه ما من رسول ولا نبي إذا قرأ القرآن إلا ألقى الشيطان في قراءته، فهذا فعله مع الرسل فكيف بغيرهم؟ ولهذا فهو يُغالط القارئ، ويُنسيه ويشوش عليه لسانه، أو يشغل قلبه وذهنه أو يجمعهما له؛ ولهذا وغيره أمر بالاستعاذة.

هـ - أن الاستعاذة تمنع الشيطان من أن يفسد ما في القلب من الهدى والنور والعلم والخير بتفهم القرآن وتدبره.

٦- الإنصات عند سماع القرآن:

لقوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، قال الشوكاني - رحمه الله -: «أمرهم الله - سبحانه - بالاستماع للقرآن والإنصات له عند قراءته لينتفعوا به، ويتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تفصيلها وزيادة على ما ذكر في إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ١ / ١٠٩، لابن القيم - رحمه الله - .

(٢) فتح القدير، ٢ / ٢٨٠ .

## ٧- الجهر بالتلاوة:

لتعين القارئ على جمع قلبه على المعاني، وتمنع شرود الذهن، فقد قال ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به»<sup>(١)</sup>.

ولقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك؛ فعن أم هانئ- رضي الله عنها- قالت: «كنت أسمع قراءة النبي ﷺ وأنا على عريشي»<sup>(٢)</sup>، وسئل ابن عباس- رضي الله عنهما- عن جهر النبي ﷺ بالقراءة بالليل؛ فقال: «كان يقرأ في حجرته قراءة لو أراد حافظ أن يحفظها فعل»<sup>(٣)</sup>.

ومما يدل على العناية بالجهر بالقراءة ما رواه أبو قتادة- رضي الله عنه-: «أن النبي ﷺ خرج ليلة؛ فإذا بأبي بكر- رضي الله عنه- يصلي يخفض من صوته، ومرّ على عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- وهو يصلي رافعاً صوته، قال: فلما اجتمعنا عند النبي ﷺ قال: يا أبا بكر، مررت بك وأنت تصلي تخفض من صوتك؟! قال: قد أسمعت من ناجيت يا رسول الله. وقال لعمر: مررت بك وأنت تصلي ترفع صوتك؟! فقال: يا رسول الله، أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان. فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر! ارفع من صوتك شيئاً. وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئاً»<sup>(٤)</sup>. وعن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري بهذا اللفظ، رقم ٧٥٢٧.

(٢) رواه النسائي، رقم ١٠١٣؛ ومختصر قيام الليل، ١٣٢؛ وحسنه الألباني في صحيح النسائي.

(٣) مختصر قيام الليل، للمرزوي، ١٣٣.

(٤) رواه أبو داود، رقم ١٣٢٩؛ وصححه النووي في المجموع، ٣/٣٩١؛ والحاكم ووافقه الذهبي، والألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ١٠٩.

(٥) رواه البخاري، رقم ٤٢٣٢؛ ومسلم، رقم ٢٤٩٩.

وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة»<sup>(١)</sup> .

قال القرطبي - رحمه الله - : «وأجازت طائفة رفع الصوت بالقرآن والتطريب به ؛ وذلك لأنه إذا حسن الصوت به كان أوقع في النفوس ، وأسمع في القلوب»<sup>(٢)</sup> .

قال الزركشي - رحمه الله - : «ويستحب الجهر بالقراءة . . . نعم ؛ من قرأ والناس يصلون فليس له أن يجهر جهراً يشغلهم به ؛ فإن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم يصلون في المسجد فقال : يا أيها الناس ، كلكم يناجي ربه ، فلا يجهر بعضكم على بعض في القراءة»<sup>(٣)</sup> «(٤)» .

وقال النووي - رحمه الله - عن الحكمة من مشروعية الجهر : «أنه يتعدى نفعه إلى غيره ، ويوقظ القلب ، ويجمع همه إلى الفكر ، ويصرف سمعه إليه»<sup>(٥)</sup> .

#### ٨ - حسن الابتداء والوقف :

يقول النووي - رحمه الله - : «وينبغي للقارئ إذا بدأ من وسط السور ، أو وقف على غير آخرها ؛ أن يبتدئ من أول الكلام المرتبط بعبءه ببعض ، وأن يقف

(١) رواه الترمذي ، رقم ٢١١٩ ، وقال : حديث حسن غريب ؛ وصححه الألباني في صحيح الترمذي ؛ ورواه أبو داود ، رقم ١٣٣٣ ؛ والنسائي ، ٥ / ٨٠ ؛ وأحمد ، ٤ / ١٥١ ، ١٥٨ ، والبيهقي في الكبرى ، ٣ / ١٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ١ / ١١ .

(٣) أخرجه أحمد ، ٢ / ٦٧ ، بلفظ : «إن المصلي يناجي ربه - عز وجل - فلينظر أحدكم بما يناجي ربه ، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة» ، وأخرجه أبو داود ، أبواب قيام الليل ، باب : رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ، رقم ٣١٥ .

(٤) البرهان ، للزركشي ، ١ / ٥٤٧ .

(٥) التبيان ، ص ٧٦ .

على الكلام المرتبط، ولا يتقيد بالأعشار والأجزاء؛ فإنها قد تكون في وسط الكلام، كالجاء الذي في قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٢٤]، . . . ولا يغتر بكثرة الفعالين له من القراء الذين لا يرعون هذه الآداب، ولا يفكرون في هذه المعاني؛ . . . ولهذا المعنى قال العلماء: قراءة سورة قصيرة بكاملها أفضل من قراءة بعض سورة طويلة بقدر القصيرة، فإنه قد يخفى الارتباط على بعض الناس في بعض الأحوال<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض، والافتتاح بما فتح الله به السورة، والاختتام بما ختم الله به، وتكميل المقصود من كل سورة، ما ليس في ذلك التحزيب»<sup>(٢)</sup>.

«وأعدل الأقوال في ذلك، قول من كره اعتياد ذلك دون فعله أحياناً؛ لئلا يخرج عما مضت به السنة، وعادة السلف من الصحابة والتابعين»<sup>(٣)</sup>.

(١) التبيان، ص ٨٢؛ والأذكار، ص ٩١؛ ونحوه في المجموع، ٢ / ١٦٧ .  
 (٢) الفتاوى، ١٣ / ٤٠٥ - ٤١٤، وذكر أن أول من أحدث الأعشار والأخماس الحجاج بن يوسف .  
 وانظر: كتاب الحوادث والبدع، ص ١٠٣ .  
 (٣) الفتاوى، ١٣ / ٤١٢ .